الفصل السابع

الثقافة والتنشئة الاجتماعية

الثقافة والتنشئة الاجتماعية

جرت العادة على النظر إلى التنشئة الاجتماعية بوصفها تعليم الفرد كيف يصبح عضوًا في أسرته وفي مجتمعه المحلي، وفي جماعته القومية... تبدأ هذه العملية منذ الطفولة المبكّرة، وتتقدم مع تقدم النمو والتعليم إلى الدرجة التي يسلك بها الفرد، ويفكر، ويشعر، ويقيم الأمور بطرق تشابه ما يفعله كل فرد آخر في المجتمع (**لامبرت، لامبرت، ١٩٩٣، ٢٧**).

إذن، التنشئة الاجتماعية هي العملية التي عن طريقها يوجّه الطفل لكي يسير على نهج حياة أسرته والجماعات الاجتماعية الأخرى التي ينتسب إليها، ويسلك في غمارها بصورة تتلاءم مع معاييرها ومعتقداتها وقيمها (**عادل عز الدين الأشول، ١٩٨٥، ٢٦٩**).

والثقافة التي تحيا في إطارها الجماعة هي التي تحدد أنماط السلوك، والمعايير، والمعتقدات، والقيم التي على الجماعة أن تُعلّمها لأفرادها من خلال عملية التنشئة، وعليه يمكن النظر إلى التنشئة الاجتماعية بوصفها ناقلة الثقافة أو الوسيط الذي من خلاله يتشكّل الفرد بما يلائم الثقافة المجتمعية، وذلك من خلال التعليم والتدريب.

ويقصد بالثقافة المجتمعية أو ثقافة الجماعة كما يشير محمد عودة الريماوي (١٩٩٤، ١١٤-١١٥) أنماط السلوك التي يكتسبها الفرد بواسطة التعلم الاجتماعي، إنها طريقة حياة الجماعة، وتتضمن الوسائل الاقتصادية والتكنولوجيا العلمية التي تستخدمها الجماعة في تعاملها مع البيئة الطبيعية، كما تشمل القوانين والتشريعات السياسية التي تنظم الحياة الاجتماعية، كما تشمل لغة الجماعة، ومعتقداتها، وقيمها الأخلاقية والجمالية. كما تتضمن دين الجماعة باعتباره عقائد وعبادات وأنماط سلوكية ومعايير أخلاقية لها صفة الثبات والديمومة

وترقى في المجتمعات ذات الدين لتكون مسلمات تشكل جانبًا رئيسًا من الأبنية المعرفية للأفراد والجماعات.

وإذا كانت الثقافة هي المحدد الأقوى لمضمون التنشئة الاجتماعية، يمكننا إذن أن نتوقع أن تختلف مضامين التنشئة الاجتماعية من ثقافة إلى أخرى، ومن ثم فالتنشئة الاجتماعية نسبية تختلف من مجتمع إلى آخر. من هنا اتجهت الدراسات إلى فحص الفوارق في التنشئة الاجتماعية بين الثقافات المختلفة، ومن الدراسات الرائدة في هذا الميدان الدراسات التي أجرتها مراجريت ميد Mead على القبائل الأفريقية.

وهكذا، إذا وجدنا تشابهًا كبيرًا بين أبناء الثقافة الواحدة واختلافًا بينهم وبين أبناء الثقافات الأخرى، فإن ذلك يعزي في المقام الأول إلى عملية التنشئة الاجتماعية. إلا أنه رغم أوجه الاختلاف القائمة بين ثقافة وأخرى إلا أنها جميعًا -وكما تشير الدراسات- تشترك في بعض جوانب التنشئة.

فكل الثقافات -على اختلافها- تقيم معاييرَ للسلوك وقواعد تنظم الحياة الاجتماعية وقيمًا تحث أفرادها على اكتسابها، وكل الثقافات تتيح الظروف المواتية للوفاء بالحاجات الأساسية لأفرادها، إذ تركّز جميعها على حماية الصغار وإطعامهم ورعايتهم. وكل الثقافات أيضًا تؤكد على تدريب الأطفال على ضبط الإخراج وكفّ الحفزات العدوانية والجنسية بدرجة أكبر ودرجة أقل حتى لا يمكن للحياة الاجتماعية أن تبقى وتستمر. ولكن الثقافات تختلف بدرجة كبيرة في مدى سماحها أو تقييدها للتعبير عن الحفزات الفطرية، كما تتحكم أيضًا في شكل ذلك بتنشئة الأطفال (**ممدوحة محمد سلامة، ٢٠٠٤، ١٥٠**).

وسائل التنشئة الاجتماعية:(المسؤولون عن التنشئة الاجتماعية)

ليست ثمة خلاف على أن الأسرة والمدرسة والأقران ووسائل الأعلام على اختلاف مستويات تأثيرهم، فهم المسؤول الأول عن التنشئة الاجتماعية، أو لنَقُل (الوكلاء المنوط بهم القيام بوظيفة التنشئة).

١- الأسرة

لا يولد الإنسان أو ينمو في فراغ، فمنذ الميلاد هناك جماعات وقوى تسهم في تشكيل شخصيته.. وإذا أردنا أن نفهم الإنسان، فعلينا الرجوع إلى هذه الجماعات والمؤسسات، وفحص طبيعتها، ونوعيّتها، ومضامينها.. فبهذا يتضح التأثير الأكبر لهذه القوى والمؤسسات في مراحل الطفولة، والمراهقة بشكلٍ خاص، ومع ذلك يظل هذا التأثير قائمًا وممتدًا في مراحل النمو اللاحقة؛ معنى ذلك أن تأثير هذه القوى والجماعات على النمو النفسي للفرد لا ينتهي.

ومن بين كل المؤثرات التكوينية في عملية التنشئة الاجتماعية فإن الأسرة تظل الوكيل، وصاحب التأثير الأكبر في نمو الشخصية، وكما تذكر سهير كامل (١٩٩٢، ٤) فالأسرة هي الحضن الاجتماعي الذي تنمو فيه بذور الشخصية وتوضع فيه أصول التطبيع الاجتماعي، بل تتحدد فيه بحق -كما ذهب كولي- الطبيعة الإنسانية للإنسان. الأسرة إذن هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي تسهم بالقدر الأكبر في الإشراف على نمو الطفل.

إن التأكيد على التأثير الكبير الذي تسهم به الأسرة في تشكيل الشخصية يتأتي من كونها الجماعة الثابتة والأولية في حياة الإنسان رغم كل التغيرات التي طرأت على نمط الحياة الأسرية أو تركيبها.. ففي الأسرة تبرز شخصية الفرد ويتشكّل إلى حد كبير، وفي نطاقها الضيّق يتلقّى الفرد مؤثراته الاجتماعية الأولى، ويتلقى لأول مرة مؤثّرات الثقافة، وتتشرب نفسه المعايير الاجتماعية والخُلقية، والاتجاهات النفسية الهامة. وفيها تتميّز المؤثّرات

والعلاقات الاجتماعية بأنها مباشرة قريبة، ومستواها أولي وجوهري، يقوم على لقاء الأفراد بعضهم مع بعض ووجهًا لوجه. هذا عن دورها أو طبيعتها كجماعة أوّلية، أما عن كونها جماعة ثابتة: فأثرها قويٌّ عميقٌ يهيمن على سلوك الفرد طول حياته أو يكاد.. (فأثرها يظل في تفاعل دائم مع الفرد في ضروب ومسالك حياته اليومية) (**فؤاد البهي السيد، ١٩٨١، ٣٠٨، ٣١١، ٣١٢**).

ومن ثم، تعد الأسرة المنبع الأول الذي يستقى منه الطفل القيم والمعايير والاتجاهات والمفاهيم وأساليب السلوك، التي بالطبع تتفق والإطار الثقافي. على نحو ما ذكرنا سابقًا بوصف الوظيفة الأولى للأسرة في عملية التنشئة هي.

وكما سبق أن ذكرنا، فالأسرة إذ تطلع بوظائف التنشئة فإنها تقوم أيضًا بما يمكن أن نطلق عليه التربية الثقافية Enculturation ويقصد بها كما يذكر لطفي فطيم (١٩٩٥، ٢٦) تشكيل الطفل عن طريق التعليم والتدريب حتى يصبح شخصًا قابلًا لأن يشارك المجتمع في حياته الثقافيّة.

إذن، التربية الثقافية من الوظائف الهامة للأسرة، ومرة أخرى هذه التربية الثقافية التي تجعل الفرد عن طريق التعليم والتدريب حاملًا للثقافة التي يعيش فيها وخبيرًا بشؤونها.

إجمال القول، يتفق الباحثون والدارسون في مجال التنشئة الاجتماعية إلى حد كبير على أن الأسرة كجماعة مرجعية أوّلية تمارس تأثيرات قوية تُعد محددات أساسية في تشكيل الشخصية الإنسانية. ويُشير صلاح مخيمر إلى ذلك بقوله: في الأسرة تنشأ النماذج الأولى لاستجابات الطفل بما في ذلك تصوّراته واتجاهاته ومعتقداته وعاداته (صلاح مخيمر، ١٩٧٩، ٢٥٠) وبالتأكيد يعد تأثير الوالدين من أهم العوامل في هذا الخصوص.

إن ما يؤكد الدور الحاسم الذي تلعبه الأسرة في نمو وتشكيل شخصية الإنسان، يتضح من خلال نظرة متأنّية لمجموعة الوظائف التي تطلع بها الأسرة تجاه أطفالها: إذ تشبع الحاجات الفسيولوجية، كما تشبع أيضًا الحاجة إلى الأمان والحب والانتماء، كما توفّر نماذج للسلوك يمكن اقتداؤها، كما تشرف عليها وتسهم في نمو الطفل الاجتماعي والخلقي، وتيسر النمو المعرفي، وتنمي المهارات والقدرات العقلية، كما تعمل كمصدر للمعلومات والمعارف وكمصادر للعون والتأييد. وبالطبع لا يتسع المجال للحديث عما يمكن أن تسهم به الشخصية بالإيجاب أو السلب على النمو النفسي، لكن يمكن القول في النهاية بأن النمو النفسي للإنسان يسير سواء بسواء مع الأسرة التى نشأ فيها ونمى.

٢- المدرسة:

ليست الأسرة هي المكوّن أو المسؤول الوحيد عن التنشئة الاجتماعية، فهناك أيضًا مسؤولون آخرون عن التنشئة، أو قنوات أخرى من أهمها المدرسة؛ حيث تسهم بقدر كبير في تشكيل وصياغة الشخصية.

ويُعرّف أحمد سلامة وعبد السلام عبد الغفار (١٩٧٠) المدرسة بأنها: مؤسسة اجتماعية اتفق المجتمع على إنشائها بقصد المحافظة على ثقافته، ونقل هذه الثقافة من جيل إلى جيل، كما أنها تقوم بتوفير الفرص المناسبة للطفل كي ينمو جِسمانيًّا، وعقليًّا، وانفعاليًّا، واجتماعيًّا إلى المستوى المناسب الذي يتّفق مع ما يتوقّعه المجتمع من مستويات وما يستطيعه الفرد. يتضح من هذا التعريف أن المدرسة تقوم بوظيفتين:

- **الوظيفة الأولى:** نقل الثقافة والمحافظة على التراث الثقافي بما يطرأ عليه من تعديلات ونمو.

- **الوظيفة الثانية**: توفير الظروف المناسبة للنمو وأن تزوّد وتعرض أطفالها للخبرات المناسبة التي تؤدي إلى (نموهم جسمانيًّا، وعقليًّا، وانفعاليًّا، واجتماعيًا) (ص١٠٧).

ويذكر صلاح مخيمر (١٩٧٩، ٢٥٥ – ٢٥٦) أن المدرسة في صورتها الثقافية هي هذه الأطر التأهيلية التي تنتقل بالكائن من تبعية طفولته في الأسرة إلى استقلالية راشدة في حياة الإنتاج والمواطنة، المدارس هي أشبه شيء بتلك المراكز التأهيلية التي تنتقل بالمعوقين من الكبار شيئًا فشيئًا إلى الحياة العادية. واتفاقًا مع التعريف السابق يؤكّد أن وظيفة المدرسة لا تقتصر على الناحية المعرفية فحسب، بل تتخطاها إلى الجنبات المختلفة لعملية النمو، فالمدرسة مجتمع (ولكن على مقاس التلميذ) يعده المجتمع المقاس التالي وهكذا.

إن الطفل بدخوله المدرسة، فإن السلطة تنتقل من والديه إلى سلطة أخرى عليه أن يذعن لأوامرها، وهي إذ تلقّنه قيم ومعايير واعتقادات وأنماط السلوك الخاصة بثقافة المجتمع فإنها تمتلك آليات الثواب والعقاب التي تجعله أكثر مسايرة أو مجاراة. هذه من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن المدرسة تعلمه كيف يشبع ما أمكن من حاجات في إطار تنظيمي وثقافي واجتماعي ويرجئ ما لا يمكن إشباعه ضمن هذا الإطار، كما أنه يتعلّم كيف يتجاوز الشعور بالإحباط وكيف يعلو على إلحاح الحاجة والرغبة. هذه القدرة يتعلّمها الطفل في مجتمع المدرسة، فليس كل ما يطلبه يتحقق، وليس كل ما يتمناه يشبع، وهنا تتشكّل مكونات نفسية واجتماعية أشد مرونة وارتباطًا بالواقع الاجتماعي.. إن عليه أن يتحرّك ضمن المجموع.. ضمن الانتظام الذي يشكل مجتمع المدرسة كانعكاس حقيقي لثقافة المجتمع وقيمه ومعاييره. (إبراهيم عيد، ١٣٢)

عن المعلم

يذكر مخيمر أننا يمكن أن نفرّق في التربية بين المعلم والمربي، فالمعلم يقدم مادة، أما المربي فيطلع بالعملية التربوية من كل جنباتها، ويمكن القول بأن المعلم أشبه بالرئيس لمنظمة اجتماعية بينما المربي يكون زعيمًا لجماعة نفسية، وفي هذه الحالة الأخيرة تبرز أهمية التطابق مع المربي وما يمكن أن ينتج عن ذلك من إعلاءات وتصفية للمشكلات الأسرية المختلفة.

وعلى المعلم أن يدرك أن سلوكياته نماذج يحتذي بها تلاميذه، فدوره كمعلم لا ينفصل عن دوره كمثل أو قدوة ويفسّر ذلك من خلال عملية التعلم بالملاحظة Modeling والتي سبق أن أشرنا إليها. ولعلنا نجد تعبيرًا عن هذا الافتراض في الإعجاب الذي قد يبديه التلميذ تجاه مدرس ما وتقليده إياه.

والتلميذ لا يلاحظ ويقلد المدرس فقط، بل قد يتوحّد به فيستدخل داخله سلوكيات واتجاهات وقيم المدرس، وذلك لا شعورى، وهنا يحدث التعيين الذاتي أو التطابق بينه وبين المدرس. إذن، الملاحظة كعملية شعورية والتوحد كعملية لا شعورية يفسرا لنا الدور الهام للمعلم في التأثير الإيجابي أو السلبي بوصفه موضوعًا للملاحظة أو للتوحد.

وعلى الرغم إذ يختار مهنة التعليم، أن يكون ذلك على قناعة شخصية وليس لظروف أخرى حتى يمكنه أداء وظيفته بشكل فاعل. يفترض أن الدور الوظيفي الذي يلعبه المدرس يعتمد على التفاعل بين خصائصه الشخصية وظروفه البيئية ورغم أنه كما يذكر مخيمر (مرجع سابق، ص٢٥٧) ليست هناك صحّة نفسية خاصة للمعلم، إلا أن النزعات القيادية والخلاقة والانبساطية والعطائية عوامل شخصية إيجابية تفعل دوره الوظيفي، كما أننا إذا اعتبرنا المعلم قائدًا فيبدو أن نمط القيادة الديمقراطية أكثر إيجابية من القيادة التسلّيطية أو الفوضوية. أما عن

الشروط البيئية فمنها اتجاه المجتمع نحو المدرس، الإمكانات المادية التعليمية، كما لا نغفل العائد المادي الذي يتلقّاها المدرس..إلخ.

وفي النهاية نود أن نشير إلى عدة جوانب تعتبر من صميم واجبات المدرسة الحقة نحو تلاميذها يعرض لها إبراهيم عيد، (ص ١٣٢ – ١٣٤) على النحو التالي:

- أولًا: أن تبرز الإمكانات الخبيئة لطلابها.
- ثانيًا: أن تهتم بثقافة الإبداع أكثر من اهتمامها بثقافة الذاكرة.
- ثالثًا: الاهتمام بالمتفوقين عقليًّا وبأصحاب المواهب المتميزة.
- رابعًا: أن تنمي النواحي الجسمية أيضًا مثلما تهتم بالنواحي الذهنية.
- خامسًا: تأصيل قيم الديمقراطية.
- سادسًا: تنمية قيم التسامح الثقافي Cultural Tolerance.
- سابعًا: الاهتمام بالأطفال ذوي المشكلات السلوكية والانفعالية والعقلية (مدارس التربية الخاصة والعيادات النفسية).

وسائل الإعلام

تلعب وسائل الإعلام المختلفة من تلفزيون وسينما وإذاعة وصحافة دورًا هامًا في عملية التنشئة الاجتماعية، فهي على اختلاف أنواعها تشبع عددًا كبيرًا من الحاجات، كما أنها وفقًا لنظرية الغرس الثقافي تكسب الطفل الكثير من القيم والاعتقادات والتوجهات والسلوك بما يتفق مع الثقافة السائدة. وهي في الوقت ذاته تلعب دورًا هامًا في تعديل القيم والاتجاهات والسلوكيات غير المرغوبة.

ولننظر مثلًا إلى التليفزيون إذ يجمع الباحثون على ماله من أهمية واضحة في تنشئة الطفل ويرجعون ذلك إلى عدة عوامل من أهمها ما يلي:

١- يجمع التليفزيون بين الكلمة المسموعة والصورة المرئية مما يزيد من تأثيره التعليمي وفائدته التثقيفية.

٢- مما يزيد من دوره في التنشئة أنه يتميز بالقدرة على نقل صورة صوتية متحرّكة إلى ملايين المشاهدين المنتشرين في مختلف أنحاء الدولة في وقت واحد، مما يزيد من عمومية تأثيره.

٣- التليفزيون قد أصبح يسيطر اليوم على ميدان الاتصال الجماهيري بشكل يتزايد يومًا بعد يوم، وذلك بسبب الصورة المتحرّكة الناطقة التي يقدمها هذا الجهاز للفرد دون أن يكلّف نفسه مشقّة الخروج من منزله، مما يزيد من ضخامة الدور الذي تقوم به هذه الوسيلة في مختلف المجالات الإعلامية والتثقيفية والترفيهية والتربوية بصفة عامة.

٤- يتميز التليفزيون بقدرته على تحويل المجرّدات إلى محسوسات مما يساعد على استيعاب وفهم وسائل التنشئة المقدمة خاصة بالنسبة للأطفال الذين لم يمتلكوا القدرة على فهم أو تمثل المعاني المجردة والمدركات الكلية.

٥- إن مشاهدة الطفل للتليفزيون تتميز بأنها تحدث طواعية، ومن ثم انتباهه إلى برامجها يكون أكثر تركيزًا بكثير من انتباهه إلى دروس المدرّس، مما يجعل البعض يذهب إلى أن الطفل قد يتعلم عن طريق التلفزيون قدرًا من الحقائق ويكتسب عددًا من الاتجاهات أكبر من كل ما يتعلّمه أو يكتسبه من المدرسة. أضف إلى ذلك، باعتباره وسيلة تعليمية وذات جاذبية خاصة (أحمد عبد الله العلي، ٢٠٠٢، ١١٦ – ١١٨).

والتليفزيون حين يشبع كثيرًا من حاجات الطفل وينقل إليه ثقافة المجتمع، فإنه أيضًا يوسع مدارك الطفل العقلية، كما أنه مصدر خصب للمعلومات والحقائق والمعارف، ليس ذلك فقط، بل إنه يسهم في نمو الطفل المعرفي والاجتماعي والخلقي. وكما تشير فادية علوان

(٢٠٠٣) فإنه وسيط فعّال في نقل العديد من الخبرات الاجتماعية والمعرفية والسلوكية للطفل (إذا ما أعدت برامجه بطريقة علمية، وكان هناك إشراف في المقابل من جانب الأسرة).

أما عن السينما، فهي كالتليفزيون إلى حد كبير، حيث تلعب أيضًا دورًا هامًّا في غرس وإنماء العناصر الثقافية في الأطفال بشكلٍ خاص والمشاهدين بشكلٍ عام، وهي -إلى جانب هذه الوظيفة الثقافية- توفّر -كما يرى يعقوب الشاروني (١٩٩٢)- فرصًا لاكتساب الخبرات المتنوّعة، وإثارة الاهتمام بما يساعد على تنمية الملكات الإبداعية والطاقات الخلّاقة، كذلك إعداد وتهيئة الأطفال لمواجهة المواقف الاجتماعية المختلفة وتوسيع القدرات التصويرية والتخيلية وترسيخ المُثل العُليا والارتقاء بالذوق.

ومع ذلك، هناك من يرون أن وسائل الإعلام عنصر معزز، أو مقوٍّ، أو مدعم للسلوك والاتجاهات القائمة أكثر منها عنصرًا منشئًا أو مغيرًا أو معدّلًا للسلوك أو الاتجاهات، وهو ما يشير إليه أنور الشرقاوي (١٩٨٦) إذ يذكر أن الناس غالبًا ما يختارون ما يقرؤون، أو ما يسمعون، أو ما يشاهدون وفقًا لما يتفق مع ميولهم واتجاهاتهم ورغباتهم، وهذا يعني أن المواد المقدّمة في الوسائل الإعلامية لا تخلق ميولًا أو اتجاهات أو سلوكيات، لكنها تقوّي أو تنمّي تلك الميول، والاتجاهات، والسلوكيات الموجودة لديهم بداءةً. إلا أن هناك أدلة علميّة واضحة تؤكّد على دور وسائل الإعلام في نشأة وخلق الميول والاتجاهات والأنماط السلوكية. إذن، دورها لا يقتصر فقط على تعزيز ما هو قائم، بل إن هذه الوظيفة الأخيرة تضيف إلى أهمية الدور أو التأثير الإعلامي في عملية التنشئة الاجتماعية، إلا أنه ينبغي أن نشير إلا أن التأثير الإعلامي على المشاهدين يتأثّر بعدة متغيرات، بمعنى أن هناك متغيّرات تحدد من درجة تأثير هذه المتغيرات الوسيطة منها: السن، الجنس، خصائص الشخصية، المستوى العقلي، درجة التأثر بالأقران، وبالوالدين ...إلخ.

هذا وقد بدأ الدارسون -حديثًا- في التأكيد على أهمية الإعلام التخصصي، أي أن يكون هناك إعلام خاص بالأطفال؛ إدراكًا منهم لأهمية مرحلة الطفولة وحساسيتها بالنسبة للتنشئة الاجتماعية حيث تسهم وسائل الإعلام بالقدر الأكبر في التنشئة الاجتماعية في هذه المرحلة بشكل خاص. فصارت الدعوة إلى إذاعة الأطفال، وتليفزيون الأطفال، وسينما الأطفال، ومسرح الأطفال. وبالفعل أجريَت دراسات وبحوث غير قليلة في هذا الشأن فيما يتعلق بكمّ ونوعيّة ومضامين هذه المواد الإعلامية الخاصة بالطفل..إلخ. ويشير أحمد عبد الله العلي (٢٠٠٢،١٢٣-١٢٤) إلى جملة من الشروط ينبغي أن تتوافر في المواد الإعلامية الخاصة بالأطفال وهي:

١- أن يكون رائدها بوجه عام انتصار القيم الإنسانية الأساسية.

٢- أن تدعم صور النماذج الإيجابية في حياة الطفل.

٣- أن تخلو أو تبتعد هذه المواد عن العنف والجريمة.

٤- دعم الصورة الإيجابية للمؤسسات ذات الأثر البنّاء في حياة الأطفال، كالأسرة والمدرسة وسوى ذلك.

٥- أن تتيح للطفل فرصًا لاستقراء الأحداث والربط بينها بما ينمي الملكات العقلية.

وإذا سلمنا بدور سائل الإعلام في تربية وتنشئة الطفل بما يتلاؤم مع ثقافتنا، فإن هذا الدور بات مهددًا بالغزو الإعلامي الغربي الذي صار فيه أطفالنا أكثر عرضة للتأثر بالاتجاهات والسلوكيات والقيم والمعايير المناهضة لاتجاهات وقيم وسلوكيات ومعايير ثقافتنا، وذلك راجع -في جزء كبير منه- إلى قصور المؤسسات الإعلامية التي ينبغي عليها التصدي لذلك. إن التأثير الإعلامي الغربي المتزايد يستند إلى جملة من الشروط يفتقد إليها إعلامنا.

ودون الخوض في تفاصيل لا يتسع السياق الحالي لعرضها ومناقشتها، نعود ونؤكد -من خلال ما عرضنا- على الدور العام الذي يلعبه الإعلام في عملية التنشئة الاجتماعية خاصة إذا ما توافرت الشروط التي تيسر له إجادة هذه الوظيفة التربوية.

جماعات الأقران

تعد جماعة الأقران من الجماعات الأولية والثابتة (نوعًا ما) في حياة الفرد، ذلك ما يؤكد أهمية دورها في عملية التنشئة الاجتماعية. ومن خلالها يتم اكتساب الكثير من الاتجاهات والأدوار والقيم الاجتماعية، وإلى جانب ذلك تلعب دورًا هامًا في التوافق النفسي والاجتماعي، إضافة إلى دورها في إشباع الكثير من الحاجات كالحاجة إلى الولاء والانتماء والاستقلالية والتقدير. وتشير الدراسات بالفعل إلى أن جماعة الأقران -إلى جانب الأسرة- مصدر له تأثير بالغ في توجيه الشخص صوب نماذج معينه من السلوك، ويبدأ هذا التأثير في وقت مبكّر جدًّا (ربما فيما بين الرابعة والسادسة من العمر)، وفضلًا عن ذلك يبدو أن تأثيرات الأقران تزداد أهميتها، كلما تقدم الطفل في العمر بحيث يمكن لها أن تحل محل تأثير الوالدين (**أرنوف ويتيج، ١٩٩٥، ٢٦٠، ٣٢٧**).

فقبل الرابعة أو السادسة يكون التأثير الأكبر للأسرة، وفيما بعد تتزايد أهمية جماعة الأقران في حياة الطفل ربما حتى نهاية المراهقة، وكما ذكرنا فإنها منذ هذه السن تتفوق على ما عداه من جماعات حتى الأسرة أحيانًا.

والتأكيد على دور الأقران في عملية التنشئة الاجتماعية وفي إكساب الطفل الاتجاهات والقيم والسلوكيات المرغوبة المتفقة مع ثقافة المجتمع والعكس، هو أمر لا يلقى فقط تأييدًا من الناحية النظرية بل تدعمه كثير من الأدلة العلمية.

بقي أن نشير إلى نقطة هامة، وهي أنه أحيانًا لا تتماثل ما تتبناه الجماعة الأولية من ثقافة مع ثقافة المجتمع ككل، فقد يؤدي تباين البناء الاجتماعي ومواقع الجماعات فيه إلى وجود ثقافات فرعية مختلفة وأحيانًا مضادة. فإذا أصبحت أسس التباين أغلب، فإن هذا سيؤدي إلى اختلاف مع ثقافة المجتمع، سواء في الأساليب أو الأهداف أو كليهما، وفي هذه الحالة تفرز الجماعات الأولية اتجاهات ومعاييرَ، وقيمًا مناهضة للنظام القائم، وإن التناقضات السياسية والاقتصادية قد تؤدي إلى تناقضات اجتماعية ثقافية، مما يؤدي إلى عمليات الصراع (إبراهيم عثمان، ١٩٩٩، ١٣، ١٣١).